بديع الزمان ممثلاً عن المعارضة

د. داود دورسون *

سعيد النورسي هو شخصية لم تتفق الشرائح الاجتماعية المختلفة حوله، وقد اجريت بحقه تقييمات مختلفة ايجابية وسلبية من جميع الاتجاهات، وهو من اهم الشخصيات في اواخر الدولة العثمانية وبداية عهد الجمهورية. وإن وجود آراء وتقييمات مختلفة في موضوع شخصيته وافكاره وأفعاله، يأتي بسبب عدم تناول حياته بخط واحد، ولكونها عبارة عن مراحل تحمل ميزات مختلفة حسب اختلاف الظروف الاجتماعية والسياسية. وإن عرض شخصية وأفعال سعيد النورسي لميزات مختلفة يتعلق عن كثب بالتغيرات والتحولات المهمة والجذرية التي تعرض لها المجتمع من الناحية السياسية والاجتماعية في العصر الذي عاش فيه.

وقد كان سعيد النورسي حتى الآن موضوع دراسات وبحوث ونقاشات كثيرة ومختلفة الجوانب. واجريت تقييمات مختلفة له وعليه، والبعض حكم عليه، والبعض الآخر اعطاه ميزات خارقة رفعته الى درجة الولي. وقد درس سعيد النورسي كعالم ديني، وكمجدد، وكولي، وكرجل كفاح. وسنتناول شخصيته في هذه المقالة كممثل للمعارضة الاجتماعية وسنقيمه بهذا الوصف.

ثلاث مراحل مختلفة وثلاث شخصيات لسعيد النورسي

إن الذين يتناولون حياة سعيد النورسي يقسمونها بشكل عام كما فعل هو - الى مرحلتين على شكل "سعيد القديم وسعيد الجديد" وهذا التقسيم لا يعكس الحقيقة تماماِ، ويمكن القول انه من الاصوب تقسيمها الى ثلاث مراحل. وكون تقسيمها الى مرحلتين "سعيد القديم وسعيد الجديد" تم من طرف سعيد النورسي نفسه وتم قبوله. لكن مرحلة سعيد الجديد التي بدأت سنة ١٩٢٥م كانت بعد هذا التاريخ بعيدة تماماً عن الحياة السياسية وتحت المراقبة وخارج بلده. ويجب الفصل بين مرحلة الحزب الواحد حتى سنة ١٩٥٠م، وبين مرحلة تعدد الاحزاب. وذلك لأننا نلاحظ تغييرات مهمة في مواقفه وسلوكه خلال هاتين المرحلتين. لذلك فإننا نجد من الأولى ان نتناول سعيد النورسي في دراستنا هذه على ثلاث مراحل:

أ- مرحلة ما قبل سنة ١٩٢٥م.

ب- مرحلة ١٩٢٥- ١٩٥٠م

جـ- مرحلة ما بعد ١٩٥٠م.

مرحلة ما قبل سنة ١٩٢٥م: سعيد النورسي معارضاِ سياسياً فعالاً :

يستخدم سعيد النورسي تعبير "سعيد القديم" لحياته فيما قبل سنة ١٩٢٥م. ولد سعيد النورسي في قرية نورس التابعة لناحية إسباريت بمدينة خيزان في ولاية بتليس سنة ١٨٧٦م او ١٨٧٧م. وبدأ تعليمه في المدارس الموجودة في المنطقة بعد دخوله التاسعة من العمر. وتبين من مواقفه وسلوكه في هذه المدارس انه صاحب شخصية مختلفة ومعارضة . وقد بين خلال مرحلة دراسته في المدارس انه لا يتحمل هضم الحقوق، والاخطاء، والظلم، وانه يرى من الواجب الاعتراض في حالة التعرض لمثل هذه المعاملة. وإن مواقفه وسلوكه الذي ابداه خلال دراسته في مدارس طاغ، وبيريس، وخيزان اظهرت بناء شخصيته المعارضة بوضوح١.

نستطيع القول انه يمكن دراسة معارضة سعيد النورسي في مستويين. احدهما مستوى بناء شخصيته الذي بيناه أعلاه، والثاني المستوى الذي اظهرته الشروط الاجتماعية والسياسية في المرحلة التي عاش فيها. والحقيقة ان هذين المستويين

يتممان بعضها البعض، ويلعبان دوراً في بروزه كممثل للمعارضة وإظهاره النشاطات في هذا الاطار، وفي هذه الحالة، فإن بناء شخصيته المعارضة وخواصها النفسية التي شوهدت في سنوات التربية والتعليم الابتدائى، كان لها تأثيراً ايجابياً لتحمله تمثيل المعارضة الاجتماعية في الوضع المتأزم الذي ولدته الشروط الاجتماعية والسياسية في حياته فيما بعد.

لقد قضى سعيد النورسي الذي ولد في عائلة تنشئ رجال الدين طفولته بالتعليم التقليدي في المدارس، وتعرف على المواضيع السياسية في شبابه بسبب الصراعات العشائرية في المنطقة التي يعيش فيها. وان تحمله دوراً في النقاط المعروفة في المنافسة بين المشايخ والعشائر، والقوى المحلية، جعلته يواجه المشكلات السياسية والاجتماعية في وقت مبكر من حياته. وإن شخصيته النضالية والمعارضة منذ طفولته لم تعطه الامكانية للبقاء في مكان واحد لمدة طويلة، وإن زيارته للمدن المختلفة باستمرار اعطته الامكانية لمعرفة انسان المنطقة ومشكلاته عن قرب. وان تحمله دور المصلح بين العشائر في صراعاتها يتوافق مع شخصيته. إن سعيداً النورسي المرفوع الرأس والذي لا ينحني لأحد وصاحب السلوك الجدي يُرى بوضوح عند قيامه بدعوة رئيس عشيرة ميران مصطفى باشا للهداية بموجب رؤيا رآها٢.

ويتبين أيضاً ان سعيد النورسي اهتم بالنشاطات السياسية عندما كان في ماردين سنة ١٨٩٢م، والتقى مع شخصين من منتسبي حركة جمال الدين الافغاني والحركة السنوسية وتأثر بهما. وقد اضطر متصرف ماردين باخراجه من المدينة تحت نظارة المسلحين بسبب نشاطاته السياسية وارسله الى بتليس. وتوجد عبارة "بدأت حياته السياسية الاولى في ماردين" في ترجمة حياته التي دققها سعيد النورسي بذاته٣.

وقد نجح سعيد النورسي في دخول بتليس بمعية الوالى عمر باشا ، ثم بناء على دعوة والى "وان" حسن باشا دخل في "وان" عمله مع والي "بتليس" ووالى "وان" فتح امامه افقاً جديداً، ووجد امكانية لمشاهدة العالم والمشكلات السياسية، كما ان قيامه بالعمل مستشاراً للوالي الى جانب عمله وسيطاً لحل الخلافات العشائرية كان من اهم النشاطات بالنسبة له ٤.

وقد ذهب سعيد النورسي الى إسطنبول اول مرة سنة ١٩٠٨م لعرض طلبه على الخليفة السلطان بفتح جامعة في وان، لكن محاولته هذه لم تنجح ويمكن الادعاء بان قيام حاشية السلطان عبدالحميد بسوقه الى مستشفى الامراض العقلية وعدم اهتمامهم بمشروع الجامعة كان له تأثير على قيامه بالنشاط السياسي الفعال اعتباراً من هذا التاريخ . والتعابير والكلمات التي استخدمها بعد اعلان المشروطية الثانية بتاريخ ٢٤تموز ١٩٠٨م بثلاثة أيام في كلمة القاها بإسطنبول ثم في كلمة القاها في سلانيك ، كانت تشابه الكلمات والتعابير التي استخدمها ممثلو المعارضة ضد ادارة السلطان عبدالحميد. "الحرية" ، "الأسر" ، "الملة المظلومة" ، "الترقي" ، "المدنية" "الاستبداد"، "الحكومة المشروطة"، "الحاكمية الملية"، "الوطن"، "الشريعة"، "الاتحاد"، "المشروطية" وغيرها من التعابير التي كانت تستخدم من قبل المعارضين للادارة٥ والخطاب الذي القاه سعيد النورسي في سلانيك كان يعكس الميول الاساسية للمرحلة من طرف، ويذكر قلقه المهم من طرف آخر. وكان يعبر عن قلقه بالعطف على الشريعة دوماً حيث كان يسمي الحرية بـ "الحرية الشرعية"، والوضع الجديد "البعث بعد الموت" . وقد قام سعيد النورسي بالعمل المشترك مع كبارحركة "جون ترك" في مدينة سلاينك التي كانت اهم المراكز الفكرية في تلك المرحلة، والى جانب استخدامه للمفاهيم الاساسية لفكر جون ترك في خطابه، إلاّ أنه كان يفهم ويريد قوله من خلال هذه المفاهيم يختلف تماماً عنهم. فمثلاً يتبين بوضوح من هذا انه كان يفكر بشكل مختلف: "يا أبناء الوطن! لاتفسروا الحرية تفسيراً سيئاً. كي لا تهرب من بين ايدينا ، ولا تخنقنا بتجريعنا الاسارة المتعفنة في وعاء آخر. وذلك لان الحرية تتحقق وتنشأ وتنمو بمراعاة الاحكام، وآداب الشريعة، والاخلاق الحسنة٦ ومن طرف آخر فقد بين في مقالته التي نشرت في الجريدة الدينية "العدد ٧٠، ٢٦شباط ١٣٢٤": "المشروطية هي عبارة عن العدالة والمشورة ، وانحصار القوة في القانون. ومنذ أن تأسست الشريعة الغراء قبل ثلاثة عشر قرناً، فإن سؤال اوروبا في الاحكام يعد جناية كبيرة للدين الاسلامي، ويشبه الصلاة متوجهاً الى

غير القبلة"، وبهذا يبين بوضوح انه يفكر بطراز مختلف عن تفكير جون ترك كما ان الادارة الجديدة لم تتردد في القاء القبض عليه ٧.

لقد عاش سعيد النورسي حياة سياسية فعالة في مرحلة المشروطية الثانية، وشوهد في البداية مع معارضي السلطان عبدالحميد الثاني، ثم اتخذ موقفه ضد حركة جون ترك. ويمكن ان نعد وجوده بين مؤسسي جمعية "الاتحاد المحمدي" التي اسست قبل احداث ٣١ مارت ١٩٠٩م بفترة قصيرة عبارة عن ابراز للمعارضة بشكل بيّن. كما ان هذه الجمعية وصحيفة فولقان الناطقة باسم الجمعية كانت متهمة بالتورط في احداث ٣١ آذار ١٩٠٩م، حتى انه تم إعدام صاحب الصحيفة ومديرها المسؤول درويش وحدتي. ورغم ان سعيد النورسي ينكر انه من المشاركين في هذا العصيان ٨. الا انه من الواضح انه كان يعارض إدارة جون ترك . وكان يقول لحركة جون ترك "لقد أسأتم للدين، وتعرضتم لغيرة الله ، واضعفتم الشريعة، وستكون نتيجة ذلك خيمة"٩، وكان ينطق باسم الاوساط الاسلامية المعارض للمستغربين. وكانت جميعة الاتحاد المحمدي تتهم حركة جون ترك باتباعها سياسة قمع ارهابية ومهاجمتها للمؤسسات الاسلامية.

وعندما حوكم سعيد النورسي بتهمة تورطه بأحداث ٣١ مارت كان يكرر في المحكمة أثناء الاستجواب مفاهيم "المشروطية، والعدالة والشريعة" وقال "لقد صفّقت للمشروطية اكثر من كل إنسان لأجل الشريعة". وكان سعيد النورسي يعتقد بوجوب تحديد الحرية "بآداب الشريعة" ، وبين ان اسلافه هم جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده، و أ. سواعي، وخوجا تحسين، و نامق كمال، والسلطان ياوز سليم، وقال ان حركة ٣١ مارت كانت في الاصل حركة ضد تحكم واستبداد جماعة الاتحاد والترقي. والملفت للنظر هو انهاءه كلمة الدفاع بهذه الكلمات: "لتحيا المشروطية المشروعة، ولتعيش الحرية النيرة التي اخذت الدرس التام من تربية حقيقة الشريعة" ١٠. وبعد براءته من المحكمة عاد سعيد النورسي الي مدينة "وان" وبدأ باعطاء الدروس للعشائر. وقد تحدث عن علاقاته مع جماعة جون ترك والاتحاديين في كتابه "المناظرات" الذي كان ثمرة نشاطاته هناك وعلى شكل اسئلة واجوبة وذلك من اجل "تشجيع الاكراد على قبول المشروطية وكسر المعارضة ضد الحكم السياسي". وقد وصف سعيد النورسي جماعة جون ترك بأنهم "فدائيي الاسلام" بينما بيّن انه يعارض بشدة الاتحاد والترقي ، والى جانب ذلك فهو يبارك نشاطاتهم في الشرق١١.

وقبل اندلاع الحرب العالمية الاولى عاد سعيد النورسي الى إسطنبول، وعرض مشروع جامعة "وان" على السلطان الجديد رشاد واستطاع الحصول على مقدار من التخصيصات وعاد الى "وان" ووضع حجر الاساس للجامعة. لكن اندلاع الحرب العالمية جعل هذه المحاولة عقيمة ايضا. وقد شارك سعيد النورسي في الدفاع عن مدينة بتليس خلال الحرب ووقع في اسر الروس، وبقي سنتين ونصف السنة في معسكر الاعتقال، واستطاع الهروب من المعسكر سنة ١٩١٧م وعاد الى بلده.

ويشاهد ان سعيداً النورسي الذي كان عضواً في دار الحكمة الاسلامية خلال ١٩١٩- ١٩٢١م قد تعرض لبعض التغييرات واجرى مع نفسه محاسبة وجدانية. وبعد ذلك ذهب الى انقرة بناء على دعوات وجهت اليه واستطاع الحصول على تخصيص ١٥٠ ألف ليرة من مجلس الامة التركية العظيم من اجل مشروع الجامعة. وبتاريخ كانون الثاني ١٩٢٣م وزع منشوراً على نواب المجلس ينبههم حول إهمال الصلاة ويحذرهم من التطورات التي تحدث في موضوع العلمانية. ويتبين ان هذا البيان ادى الى مناقشته مع مصطفى كمال. وعندما قال له مصطفى كمال: "لقد دعوناك الى هنا لتعرض لنا افكارك السامية، ولنستفيد منها. فأتيتم وبحثتم اولا عن الصلاة، فبثثتم الخلاف بيننا"، فأجابه سعيد النورسي "يا باشا يا باشا! إن اسمى حقيقة في الكائنات هي الايمان. وبعد الايمان تأتي الصلاة. والذي لا يقيم الصلاة خائن، وحكم الخائن مردود.."١٢ والى جانب مدح سعيد النورسي لنشاطات القوى الملية، فقد اهتم بموضوع الصلاة وانتقد إهمال بعض النواب للصلاة ودعاهم لإقامتها. والحقيقة ان هذا التصرف هو عبارة عن معارضة جدية لا غير، وقد قام سعيد النورسي الذي كان صاحب قناعة معينة تجاه

النظام الجديد بهذا البيان بمواجهة هذا التوجه . وعندما علم انه لن يستطيع فعل شيئ تجاه إدارة مصطفى كمال قرر ترك أنقرة والعودة الى "وان" وقال: "لا يمكن مناقشة هذا الرجل ومقابلته، ويجب ترك الدنيا والسياسة والحياة الاجتماعية والنجاة بالايمان"١٣. وعندما عاد في بداية حزيران ١٩٢٣م الى "وان" بدأ حياة جديدة وبدأت مرحلة جديدة. إن اهم ميزة للمرحلة والكفاح الذي قام به حتى سنة ١٩٢٣م هو اتخاذه مكانة فعالة في الحياة السياسية والاجتماعية وشوهد بشكل عام في صف المعارضة. وقد كافح سعيد النورسي ضد إدارة عبدالحميد الثاني، وتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي وايد بعض إجراءاتهم وعارض بعضها. شارك في الحرب، واسر، وكافح وناضل. وبعد الحرب عمل في دار الحكمة الاسلامية وذهب الى انقرة بناء على دعوة الادارة هناك، وتابع نشاطات مجلس الامة وعارض الاتجاه الجديد. وبتركه لانقرة وعودته الى "وان" بدأت مرحلة جديدة في حياته. وبعد ذلك لن نشاهد سعيداً النورسي ممثلاً فعالاً في الحياة السياسية والاجتماعية.

"سعيد الجديد": حياة منزوية وتحت الضغط

مرحلة المعارضة الشاملة للواقعية والمادية

عندما عاد سعيد النورسي من أنقرة الى "وان" انزوى في كهف في جبل ارك قرب مدينة "وان"، ويبقى هناك حتى يتم نفيه الى مدينة بوردور بسبب تمرد الشيخ سعيد .وبعد ذلك تستمر حياته بالنفي والمحاكم والإقامات الجبرية. وتفرض عليه الاقامة الجبرية في قصبة بارلا التابعة لمدينة اسبارطا حتى سنة ١٩٣٤م. وسنة ١٩٣٥م يرسل الى مدينة اسكي شهر ويحكم عليه. ثم يرسل الى قسطمونى سنة ١٩٣٦م وتفرض عليه الاقامة الجبرية مدة سبع سنوات. ويرسل الى انقرة سنة ١٩٤٣م، ومن بعدها الى دنيزلي حيث يحاكم هناك وتتم براءته مع تلاميذه. وبعد ذلك تفرض عليه الاقامة الجبرية في اميرداغ؛ ويحاكم سنة ١٩٤٨م مرة ثانية ويحكم عليه بالحبس لمدة ٢٠ شهراً. ثم يطلق سراحه سنة ١٩٥٠م بسبب العفو العام. ويذهب الى مدينة اسبارطة سنة ١٩٥١م. ويحاكم سنة ١٩٥٢م في إسطنبول وتتم براءته. وبعد براءته بعود الى اميرداغ. ثم يعود الى إسطنبول مرة ثانية في بداية سنة ١٩٥٧م، وبعد ان يقيم فيها فترة يعود الى اميرداغ. ثم يذهب الى اسبارطة بعد فترة قصيرة. وبعد انتخابات سنة ١٩٥٧م يزور مختلف المدن في البلاد. وكان الناس يقابلوه بولع شديد في كل مكان يزوره. وفي النهاية عندما زار مدينة أورفا وتوفي هناك.

ويمكن الوقوف عند عدة عوامل تبين مواقف سعيد النورسي وسلوكه في هذه المرحلة الجديدة. وخاصة نستطيع القول انه حدث تغييرات في عالمه الداخلي، وظهر توجهات مختلفة، وبدل ان يوجه انظاره الى البنية الاجتماعية والسياسية الخارجية توجّه الى العالم الداخلي والمعنوي. ويعبر عن عودته من أنقرة الى "وان" بأنها "ترك السياسة وتجرد من الدنيا"١٤. وسنشاهد بعد الآن انه يستخدم هذه المفاهيم بكثرة، وانه يسمي الذين يعاملونه بظلم "اهل الدنيا". ويبين انه لا يصّوب هذه الاعمال بقوله: "... إنني بكل قوتي مع العدالة التامة، وضد الظلم والتغلب والتحكم والاستبداد"١٥.

وكونه خارج الحياة السياسية والاجتماعية وتحت المراقبة المستمرة فهل يمكن ان يقوم بالمعارضة؟ وحسب رأينا ان قيام الادارة بمحاكمته باستمرار، وترصده رغم براءته في المحكمة، وفرض الإقامة الجبرية عليه، كان بسبب شخصيته المعارضة واعتباره صاحب قدرة كامنة تستطيع التأثير على الشعب. ومن جهة اخرى فرغم انه لم يكن في هذه المرحلة داخل الحياة السياسية والاجتماعية فعلياً، فقد اعطى آثاره المتشكلة من آلاف الصفحات والتي تسمى برسائل النور في هذه المرحلة، أنه في قطب المعارضة بآرائه التي عرضها فيها. لذلك فإنه يجب البحث عن موقفه وسلوكه المعارض في كتاباته وآرائه في هذه المرحلة.

لقد كتب سعيد النورسي كليات رسائل النور في المرحلة التي أُبعد فيها الدين عن البناء السياسي والاجتماعي، ودفعه

عن قلوب الناس، وهي مرحلة الحزب الواحد التي بدأت فيها الواقعية تكتسب نفوذها. والتي وصلت فيها السياسة الرسمية المعادية للدين اوجها، وأُسكتت جميع اشكال المعارضة، وطبقت الاصلاحات الجذرية، فأدرك سعيد النورسي انه لا يمكن اجراء سياسة فعالة في نظام ديكتاتوري، وتوجه لمعارضة الآراء الواقعية المادية التي تشكل الاساس الفلسفي لسياسة النظام بدل معارضة الكادر الاداري وذلك نتيجة لشروط تلك المرحلة. وقد سعى لمعارضة السياسة في تلك المرحلة بدفاعه عن الدين واعطائه أسمى قيمة له في الرسائل التي كتبها.. وبسلوكه هذا كان ترجماناً لمشاعر الشعب وموجهاً لها. ومن طرف آخر فإن عدم تغييره لزى اللباس، واستخدامه الابجدية العربية في الكتابة - رغم تغييرها - تعبّر عن سلوك معارض بشكل عام.

من المعلوم للجميع، ان الذي جرى زمن الحزب الواحد والسياسة المتبعة آنذاك لم تصوب من طرف الشعب ابداً، لذا سعت السلطة لفرضها على الناس بقوة القانون والسلاح لذلك فإن الذين رفعوا علم المعارضة بشكل مباشر او غير مباشر، يكونون قد نطقوا باسم المعارضة الاجتماعية.

لقد رأى النظام ان سعيد النورسي الذي يهاجم المادية والواقعية التي تشكل البناء الارضى للايديولوجية الاساسية للجمهورية بشدة خطراً كبيراً منذ البداية، لذلك وضعوه تحت المراقبة المستمرة وسعوا لتخفيف تأثيره على المجتمع. وقد شاهد سعيد النورسي اللادينية التي يعدها اكبر خطر على المجتمع، والتي بدأت تكتسب تسارعاً وتؤيد بمواقف وسياسات النظام، ووجهه معارضته الاساسية لها.. نستطيع ان نقول انه كان يفكر بنفس الفكر مع معظم شرائح المجتمع. وذلك لأن الشعب كان يرى سياسات نظام الحزب الواحد لادينية ويعترض عليها. والشئ الذي كان يزعج سعيد النورسي ويخيفه هو: "ترك النظام الجمهوري الاسلام الذي هو الحجر الاساس للنشاطات التنظيمية والفكرية الاجتماعية خارجاً، وسماحه للهجمات المادية. فإن المجتمع التركي سينحل"١٦. ولم يهتم سعيد النورسي في رسائله بالقضايا السياسية والاجتماعية، بل خصص أعماله لموضوع الايمان. وحسب تعبيره "رسائل النور لا تتحدث عن الدائرة الواسعة للدين والتي تحيط بقوانين الحياة الاجتماعية. بل ان هدفها وموضوعها الاصلي يتحدث عن الاركان العظيمة للايمان الذي هوالقسم الاخص والاسمى للدين. ومخاطبي على الاكثر هو نفسي اولاً، ثم الفلاسفة الاوروبيين"١٧. وبهذا يتبين انه شعر بالحاجة للقول بأن أفكاره ليست موجهة الى الكوادر الادارية وانما إلى الفلاسفة الاوروبيين الذين اثروا على هؤلاء الاشخاص. وبهذا الاسلوب يكون قد عمم المعارضة.

ومهما قال انه يخاطب الفلاسفة الاوروبيين فإن المسؤولين كانوا يعرفون انه يعارضهم ويعارض سياستهم. وإننا نشاهد ان التهم التي وجهت اليه في هذه المرحلة في المحاكم المختلفة كانت بشكل عام استخدام الدين لاجل السياسة، ومعارضة العلمانية، واتباع الطرق، ومعارضة النظام، واتباع الجماعات، ومخالفة الثورة، والعمل في اللجان، والقيام بالنشريات دون اذن، وغيرها من النشاطات السياسية والاجتماعية. وقد وجد سعيد النورسي المعاملة التي عامله بها النظام معاملة ظالمة وعارضها ودافع عن نفسه بقوله "إن عدم معرفة رجل نفي واجبر على الاقامة الجبرية في القرى النائية وبقي تحت الترصد في الاماكن الاجنبية وأبعد عن الدنيا بشدة للقوانين لا شك انه يشكل عذراً عند اهل الإنصاف"١٨.

وقد عارض الذين اتهموه "باستخدام الدين آلة للسياسية" معارضة قاسية، وسعى للقول انه يدافع عن الحقائق القدسية الإيمانية تجاه الذين يستخدمون السياسة آلة للادينية وتجاه اللادينيين والفلاسفة الاوروبيين، والذين يستخدمون السياسة آلة للدين، والذين يخلون بالامن معنوياً.وخلال مدافعته عن نفسه بين انه يرى حكومة الجمهورية "حكومة إسلامية لا تسمح بظهور التيارات اللادينية التي تضر بالامة والوطن" ١٩. بسلوكه هذا ضغط سعيد النورسي على اضعف نقطة للنظام، وذلك لأنه لا يمكن ان تدافع الدولة بشكل علني عن اللادينية.ولهذا السبب اراد ان يخلص نفسه من استهداف النظام له بتوضيحه

انه يدافع عن الدين تجاه الفلاسفة الاوروبيين وليس من السهل على النظام ان يكون ضد الشخص الذي يدافع عن الايمان تجاه اللادينية.

وإن تخصيص سعيد النورسي كتاباته لمواضيع الايمان فقط ليس أمراً تصادفياً. ويقول: "رسائل النور لا تتحدث عن الدائرة الواسعة للدين والتي تحيط بقوانين الحياة الاجتماعية. بل إن هدفها وموضوعها الاصلي يتحدث عن الاركان العظيمة للايمان الذي هو القسم الاخص والاسمى للدين. ومخاطبي على الاكثر هو نفسي اولاً، ثم الفلاسفة الاوروبيين"٢٠. إن تركيزه على موضوع الايمان الذي هو موضوع الساعة في البلاد والعالم في تلك الايام وقد تعرض لزعزعة جدية بالفلسفة الواقعية المادية، يعتبر من جهة هروباً من ضغط النظام، ومن جهة اخرى يشكل معارضة عامة متوجهة لقضية اللا إيمان الاساسية الموجودة في لب السياسة والاجراءات السلبية. والحقيقة انه كان يتوجه الى اوروبا في دفاعه وكتاباته، ويبين ان مخاطبيه هم الفلاسفة الاوروبيين. وإن إعطاءه امثلة من اوروبا يمكن ان تفهم على شكل معارضة لإيديولوجية الجمهورية التي تقلّد اوروبا. وإن اعطاءه المثال التالي عن الغرب يمكن ان يعتبر جواباً معقولاً للنظام المتوجه نحو الغرب "لا توجد حكومة في العالم وفي اي شكل كان، تمنع مثل هذا المحصول المبارك محصول بلادها ومعدن قوتها المعنوية التي لا تتزعزع، وتحكم على ناشره! وإن حرية الرهبان في اوروبا تدل على انه لا يوجد قانون يتدخل بشؤون من يعملون لانفسهم من تاركي الدنيا ويسعون للاخرة والايمان"٢١.

ويتضح مما بيناه اعلاه ومن اطار اهتمام سعيد النورسي بمواضيع الايمان بشكل عام انه اجاب على اتهامه بالتدخل بالسياسة بكتاباته وبالمرافاعات الدفاعية، وسعى ليثبت انه لم يتدخل بالسياسة. ويتضح ان الغاية الاساسية له ليست هي السياسة وانما المواضيع الايمانية كما يشاهد في هذه الجمل:"القرآن منعنا بشدة عن السياسية. نعم، ان وظيفة رسائل النور هي خدمة القرآن بالحقائق الايمانية تجاه الكفر المطلق الذي يهدم الحياة الابدية ويحول الحياة الدنيوية الى سم زعاف، وبالبراهين القوية التي تقنع الفلاسفة المتمردين الزنادقة"٢٢.

ومن التهم الموجهة اليه هي تهمة القومية الكردية. وقد اجاب سعيد النورسي، الذي قال "لا يمكن اتهامه الرابطة القومية بدل الرابطة الدينية، وإذا أقيمت لن يكون العدل وتذهب الحقانية"٢٣ مدافعاً عن التهم التي وجهت اليه في مدينة اسكى شهر سنة ١٩٣٥م واتخد موقفاً صلباً بقوله: "أيها الظالمون الملحدون الداعون الى القومية التركية! هل هولاء الذوات الذين يعدّون مدار افتخارالامة التركية واعتبارهم اناس لا اهمية لهم ودفعهم الى حالة سيئة بسبب كردي مثلي، هل هذه قومية؟ أهي قومية تركية؟ أم هي وطنية؟ إننى احيل ذلك الى ضمائركم غير المنصفة"٢٤. ويجب ان لا ننسى ان هذه الكلمات قيلت في المرحلة التي كانت فيها القومية التركية مبدأ اساس يسيطر على جميع السياسات الرسمية. واذا نظرنا الى سلوكه وكتاباته يتضح مقدار بعده عن القومية وأنه لا يؤيد القومية التركية. ويعارض العامل القومي للايديولوجية الرسمية.

ومن طرف آخر فإن معارضته للعلمانية كانت موضوع اتهام له مثله، مثل كثير من معارضى النظام. وبين انه يفهم العلمانية بشكل قريب من شكل تطبيقها في الغرب بقوله: "إننى أفهم من معنى العلمانية، عدم التطرف، يعنى عدم التدخل بالمتدينين والمتقين، مثل عدم التدخل باللادينيين واهل السفاهة بحجة دستور حرية الوجدان"٢٥. والكلمات التي قالها اثناء محاكمته في اسكي شهر تدل على معارضته لمفهوم العلمانية وتطبيقاتها الموجودة: "إنه على حكام هذه الامة المتدينة بالفطرة في هذا الوطن المبارك، أن يؤيدوا ويشجعوا التدين بجهة وظيفة حكمهم. وما دام انهم يجب ان يكونوا غير منحازين بسبب مبادئ الجمهورية العلمانية، فإنهم لن يتعرضوا للادينيين، فلا شك انهم يجب ان لا تعرضوا للمتدينين بأية حجة"٢٦. ومن المعلوم ان الاجراءات العلمانية بعهد الحزب الواحد وبشكل عام السياسة اللادينية لاقت ردود فعل كبيرة من الشعب، لذلك طبقت ضغوط كبيرة. وأن قيام سعيد النورسي بمعارضة السياسة التي رفضها الشعب والتي تخالف قيمه، هي امر عادي جداً

بالنسبة للشخص الذي يوجد في نقطة يعد فيها قائداً للمجتمع. وفي هذه الحالة كان يمثل المعارضة الاجتماعية، ويذكر الاجراءات التعسفية والخاطئة.

وقد اجاب الذين اتهموه بأنه معارض للنظام بقوله: "كل حكومة لها معارضين. ولا يمكن ان يُسئل أحد عن الفكر والمنهج الذي يقبله بقلبه ووجدانه، بشرط ان لا يخل بالأمن والسكونة. وإذا كنت قد عارضت الظلم الذي يطبق على الدين والمتدينين تحت قناع العلمانية، والاستبداد المطلق الزاحف تحت ستار الحرية، والحضارة المزيفة، وذلك بالاستناد الى العمدة الاساسية لحرية الضمير والدين والى مئات الآيات القرآنية، فهل يمكن ان يعد سلوكي مخالفاً للحقيقة؟ وإن معارضة هضم الحقوق، والظلم، واللاقانونية لا يعد ذنباً في اي حكومة، بل العكس إن المعارضة هي عنصر موازنة العدالة المشروع والصادق"٢٧. وإذا دققنا النظر فإننا نرى ان سعيداً النورسي لا ينكر معارضته لسياسة النظام، وأنه يرى ان ذلك حق طبيعي، ويبين أنه لا يمكن تحميل المسؤولية للفكر الذي لا يخل بالسكونة والأمن العام. ويشاهد أنه يقوم بتمثيل المجتمع الذي أسكته النظام بالاجراءت القمعية والتحدث باسمه.

سعيد النورسي في مرحلة تعدد الأحزاب:

التقرب بحذر للسياسة

إن النظام العالمي الذي تأسس بعد الحرب العالمية الثانية، لم يؤثر على ترجيحات السياسة الخارجية للدول فقط، بل أثر على السياسة الداخلية أيضاً. ولكون تركيا جعلت ترجيحها الى جانب المعسكر الغربي، فقد شعرت بالحاجة الى إعادة النظر في نظامها السياسي الداخلي بشكل يوافق المعايير الغربية. لذلك فقد انتقلت من النظام القسري ذو الحزب الواحد الى النظام المتعدد الأحزاب بعد الحرب وأجريت عدة عمليات في هذا الاطار. وهذا التطور الذي يمكن ان نسميه بشكل عام الليبرالية، بدأ بعد انتخابات سنة ١٩٥٠م والتي اسفرت عن نجاح الحزب الديموقراطي وبداية حياة سياسية جديدة. وإن التطورات والشروط السياسية والاجتماعية بعد هذا التاريخ كانت تظهر إختلافاً مهماً عن المرحلة السابقة.

إن التطورات الحاصلة حول تأسيس نظام يعطي اهمية لليبرالية والحقوق والحريات الاساسية بعد سنة ١٩٥٠م أثرت على مواقف وسلوك سعيد النورسي وكانت بداية مرحلة جديدة مختلفة بالنسبة له كممثل للمعارضة. رغم ان سعيداً النورسي حوكم في هذه المرحلة في مختلف المحاكم، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وحكم عليه بالسجن ظلماً، الا أنه كان يشاهد أن هناك تقارب نسبي بينه وبين الكادر الاداري في الدولة. وفي هذه المرحلة نشاهد سعيد النورسي كقائد اجتماعي يهتم بالتطورات السياسية، ويعرب عن امتنانه تجاه الاجراءات الايجابية، ويكتب الرسائل للمسؤولين في الدولة ويلتقي مع بعض النواب والوزراء. وقد بارك سعيد النورسي خطوات المسؤولين بسبب اتخاذهم قراراً بإعادة الاذان الى اصله باللغة العربية والذي كان من اول اجراءات حكومة الحزب الديموقراطي، وبهذا كان سعيد النورسي مترجماً لمشاعر الشعب٢٨ وفي رسالة كتبها لرئيس الوزراء عدنان مندريس الذي وصفه "بطل اسلامي" اوصاه بتقوية "الاخوة الاسلامية واتخاذ الامة الاسلامية اساساً له" وحماية الضعفاء، وقال "إن الوظيفة خدمة"، وانتقد جعلها وسيلة "للحاكمية والانانية"، وبين ان القومية التي طبقت حتى ذلك اليوم كانت خطأ في الاصل ويجب ترك هذا الخطأ، وأوصاه بقبول الامة الاسلامية٢٩ والخاصية المهمة هنا هي ان سعيداً النورسي الذي لم يكتب اي رسالة الى المسؤولين في الحكومة زمن الحزب الواحد، صار يكتب الرسائل الى رئيس الوزراء زمن تعدد الاحزاب. ويجب ان نقبل ان هذا الوضع اشارة الى المشاركة بالسياسة الايجابية، ويجب ان نفهم بأنها تغير في موقف سعيد النورسي. لذلك فان موقفه المعارض بالجملة سابقاً قد لان نسبياً، وصار يصوّب بعض التصرفات.

إن التغير المشاهد في موقف سعيد النورسي تجاه الحكومة في هذه المرحلة له علاقة قريبة بميول المجتمع بشكل

عام. وذلك لأن المعارضة الاجتماعية المرتفعة تجاه سياسة الحزب الواحد، استلمت الحكم بعد انتخابات ١٩٥٠م وسيطرت على الادارة. وبهذا حدث تغير للادوار بين الحكومة والمعارضة. والمعارضة التي مثلها سعيد النورسي توصل قسم مهم منها الى الحكم وبدأ القيام ببعض الاجراءات الايجابية. فمثلاً توصّله الى رئيس الوزراء عدنان مندريس بواسطة نائب إسبارطه د. تحسين طولاً من اجل نشر رسائل النور رسمياً وحصوله على وعد ايجابي من رئيس الوزراء، يجب ان يعد هذا تطوراً مهماً. وعلى الرغم من تكليف رئاسة الشؤون الدينية بذلك، إلا انه لم يتم نشر رسائل النور رسمياً رغم طلب مندريس٣٠ إن سعيداً النورسي الذي لم يقابل اي رجل سياسة ورجل دولة من قبل، قابل في هذه المرحلة بعض السياسيين، وقدم لهم بعض التوصيات، واجرى تقييمات وتنبيهات وإرشادت مباشرة. وقد كتب رسالة لتلاميذه بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٥١م ان رئيس الوزراء عدنان مندريس ووزير الداخلية أرسلا له خبراً قالوا فيه "لا يشغل باله ولا ييأس" ٣١ وإن هذا يدل على ان هناك علاقة قريبة بينه وبين رجال الدولة. كما يعرف ان وزير التعليم الوطني ومساعد رئيس الوزراء "توفيق إلرى" التقيا مع سعيد النورسي سنة ١٩٥٨م خلال إحدى رحلاتهم٣٢ .

ويمكن تقسيم مواقف وسلوك سعيد النورسي في هذه المرحلة الى ثلاثة أقسام:

الأول: تنبيه وإرشاد إدارة الحزب الديموقراطي بشكل مباشر، والثاني، عرض الاخطاء التي تحدث ونقدها، والثالث، تقييم الاحداث في العالم وفي تركيا وتوصيته بعض الحلول. فمثلاً طلبه فتح جامع آياصوفيا للعبادة من جديد، وطلبه نشر رسائل النور من قبل الحكومة، وتوصيته باطلاق الخطوات الجريئة في مواضيع الدين والايمان تعد من الامور المهمة كما ان ارساله برقية تهنئة لجلال بايار عند استلام الحزب الديموقراطي للحكم، يدل على انه ترك موقفه المعارض بالجملة للحكومة، وعدل عن رأيه في عدم إجراء أية علاقة مع الحكومة. وفي رسالة وجهها الى الديموقراطيين بتاريخ ٦ أيلول ١٩٥١م بعنوان "تنبيه الديموقراطيين لحقيقة كبيرة"، "إن مسلكنا يفرض علينا ان لا نهتم بالدنيا والسياسة قدر الامكان. والآن صار من اللازم النظر إليها. وقد رأينا ان الديموقراطيين يمكن ان يقدموا الدعم لجماعة النور تجاه التيارين السابقين المدهشين....."٣٣.

وقد أذن سعيد النورسي الذي اقترب من السياسة بحذر لتلاميذه ان يؤيدوا الحزب الديموقراطي في انتخابات ١٩٥٠م و ١٩٥٤م رغم انه لم يتخذ موقفاً فعالاً. وقد فُهِمَ من سلوكه ومواقفه بعد انتخابات ١٩٥٠م انه يجب تأييد الحزب الديموقراطي. وفي انتخابات سنة ١٩٥٧م بين سعيد النورسي انه يؤيد الحزب الديموقراطي علناً، وقد لعب تلاميذه دوراً أكثر فاعلية من الدور الذي قاموا به في الانتخابات السابقة٣٤ وقد اتضح من الزيارات التي قام بها سعيد النورسي لمختلف المدن بعد الانتخابات ان له كتلة واسعة من المؤيدين وانهم يستطيعون بسهولة توجيه بعض التطورات . وإن معارضته الحزب الديموقراطي كانت في غاية الليونة حتى أنه بشكل عام كان يؤيده ويحاول توجيهه بشكل عام، وإن ازدياد قوة سعيد النورسي مع الزمن اقلقت الحزب الحاكم. وإن تعرض رجال الأمن له باستمرار بحجة عدم ارتداده القبعة كان امراً ملفتاً للنظر. ومن طرف آخر كانت الصحافة المعارضة وحزب الشعب الجمهوري يقومون بالدعاية ضده ويثيرون الآخرين عليه. ويتضح ان حزب الشعب الجمهوري قد استاء من مواقف وسلوك سعيد النورسي الذي كان يؤيد الحزب الديموقراطي. وقد اضطر لقطع زيارته الى انقرة سنة ١٩٦٠م بسبب معارضة حزب الشعب الجمهوي واضطر لمغادرة المدينة٣٥. والمعاملة التي تعرض لها من الحزب الديموقراطي بعد تركه لأنقرة وذهابه لقونيا تدل على ان الحزب الديموقراطي بدأ يستاء منه ومن رحلاته. ويقال انه قال في نهاية زيارته لقونيا "لقد صارت قيمة عدنان مندريس في نظري مثل التنك"٣٦. وهذا السلوك يبين انه اصيب بخيبة امل وان الثقة بهم تزعزعت. ويتضح ان الحزب الديمقراطي استاء من ارتفاع صيت سعيد النورسي وبدأ يتخذ التدابير تجاه ذلك، من منعه لدخول أنقرة عندما اراد زيارتها لآخر مرة بتاريخ ١١ كانون الثاني سنة ١٩٦٠م. فقد اعلنت الحكومة ان سعيد النورسي سيقيم في أميرطاغ، ومنعته الشرطة من دخول المدينة.

ونستطيع القول ان سعيداً النورسي لم يقم بالمعارضة للحزب الديمقراطي كما كان يفعل سابقاً، بل كتب الرسائل لمسؤولي الحزب، وأيد اجراءاتهم الايجابية، وسمح لجماعته بدعم الحزب الديمقراطي في الانتخابات، ودعم هذا الحزب علناً في انتخابات ١٩٥٧م، وعارض حزب الشعب الجمهوري، وأن الادارة استاءت من ازدياد قوته بعد الانتخابات وبدأت تسعى للسيطرة عليه، ورغم ذلك لم يقم بالمعارضة مثلما كان سابقاً.

وعندما توفي سعيد النورسي في ٢٣ آذار ١٩٦٠م في الفندق الذي كان يقيم فيه لمدينة أورفا، فقد فقد الشعب صوتاً قوياً وممثلاً للمعارضة الاجتماعية. ويقال إن أهم عنصر يشكل حياته العامرة بالكفاح، هو التغييرات التي حدثت في المخطط السياسي والاداري وإن سعيداً النورسي الذي نذر حياته لمكافحة الظلم والكفر واللادينية، لا يزال اسماً مهماً في عالمنا الفكري بمعارضة المادية واللادينية.

---

* د. داود دورسون : ولد سنة ١٩٥٣م في بورجكا التابعة لمدينة أرتوين. وقد انهى دراسته الابتدائية في مدرسة أرتوين سنة ١٩٧٢م ودراسته الثانوية في ثانوية مدينة رزه سنة ١٩٧٧م . وقد تخرج في قسم العلاقات الشعبية في المدرسة العليا للصحافة والعلاقات الاجتماعية "وقد اصبحت اليوم كلية الاتصالات بجامعة إسطنبول" سنة ١٩٨١م بالدرجة الاولى. وفي نفس السنة بدأ دراسة الماجستير في معهد العلوم السياسية بكلية الاقتصاد بجامعة إسطنبول.وبدأ دراسة الدكتوراه في نفس الجامعة بفرع "التاريخ السياسي ، في قسم العلاقات الدولية بمعهد العلوم الاجتماعية، وقدم اطروحته باسم "النظام السياسي والاداري والتنظيم الديني في الدولة العثمانية" وحصل على درجة الدكتوراه في حزيران ١٩٨٧م. وبعده ركز بحوثه حول مواضيع التاريخ السياسي، وعلاقة الدين بالسياسة من منظور اجتماعي، والشرق الاوسط. وفي تشرين الاول ١٩٩٢م حصل على درجة استاذ مساعد في الجامعة في فرع علم الاجتماع الديني. وهو الآن يركز دراساته حول مواضيع السياسة والدين في تركيا والشرق الاوسط، والتاريخ السياسي للمرحلة المعاصرة للعالم الاسلامي. ولا يزال يعمل استاذاً في فرع الادارة العامة بكلية العلوم الاقتصادية والادارية بجامعة صقاريا منذ تموز ١٩٩٤م. كما عمل معلماً، وادارياً في مختلف المدن، ومعيداً في جامعة الوداغ ومؤلفاً في الموسسات التي تنشر الموسوعات ومحرراً وعضو هيئة النشر. وقد كتب لموسوعة العلوم الاجتماعية "إسطنبول ١٩٩٠- ١٩٩١م" وللموسوعة الاسلامية "إسطنبول ١٩٨٨م" التي ينشرها وقف الديانة التركي مواضيع ؛ التاريخ السياسي، والسياسة ، والادارة، والعالم الاسلامي، والمؤسسات الدولية، والقادة والدول المعاصر. كما نشر كتب ومقالات مختلفة تأليفاً وترجمة. وقد درس طلبة الليسانس والماجستير في جامعة مرمرة بمعهد دول الشرق الاوسط ، والمؤسسات الدولية في العالم الاسلامي؛ وفي جامعة اولوداغ.

1 Bk. Badilli ;٦٥-٥٧ ,١ ,١٩٩٠ ,B. Said Nursî, 1993, 30 vd.

2 Badilli ,١٩٩٠ ,s. 87-90; B. Said Nursî, 1993, s. 40-42; Mardin, 1994, s. 119-123.

3 B. Said Nursî, 1993, s. 43.

4 Mardin, 1994, s. 122-128; B. Said Nursî, 199, s. 40-51.

5 Bk. BSN, 1993, 55-57.

6 Badilli ,١٩٩٣ ,I, 167.

7 Bk. Mardin, 1994, s. 135-136.

8 Mardin, 1994, 138

9 BSN, 1993, 54.

10 BSN, 1993, 78.

11 Kara, 1994, s. 68-69.

12 Badilli ,١٩٩٠ ,I, 439.

13 Sualar, s. 333'ten Badilli ,١٩٩٠ ,I.456.

14 BSN, 1993, s. 177.

15 BSN, 1993, s. 184.

16 Mardin, 1994, s. 61.

17 BSN, 1993, s. 231.

18 BSN, 1993, s. 244.

19 BSN, 1993, s. 251.

20 BSN, 1993, s. 231.

21 BSN, 1993, s. 223-224.

22 BSN, 1993, s. 557.

23 Mektubat, s. 57.

24 BSN, 1993, s. 230.

25 BSN, 1993, s. 409.

26 BSN, 1993, s. 219.

27 I_ik, 1991, s. 224-225.

28 BSN, 1993, s. 616.

29 BSN, 1993, s. 618-622.

30 Badilli ,١٩٩٠ ,III, 1488 vd.

31 Badilli ,١٩٩٠ ,III, 1504

32 Badilli ,١٩٩٠ ,III, 1508.

33 Badilli ,١٩٩٠ ,III, 1515.

34 Badilli ,۱۹۹۰ ,III, 1572-1577.

35 Badilli ,۱۹۹۰ ,III, 1613 vd.

36 Badilli ,۱۹۹۰ ,III, 1626.